

# الولايات المتحدة وليبيا: تناقضات التدخل ومستقبل الكيان الليبي

يوسف محمد الصواني (\*)

أستاذ السياسة والعلاقات الدولية، جامعة طرابلس - ليبيا.

توظف هذه الدراسة مناهج التحليل السياسي والعلاقات الدولية الكيفية والمقاربة التاريخية من أجل تناول السياسة الأمريكية نحو ليبيا في سعي للإحاطة بأبعادها ودينامياتها المتعددة. وتعتمد الورقة منظوراً ينطلق من أن السياسة الأمريكية، منذ أوائل خمسينيات القرن العشرين وانتهاجاً بالدور الأمريكي في العمليات العسكرية ضد نظام القذافي وإطاحته في ٢٠١١، تعبر عن التحولات التي تشهدها السياسة الشرق أوسطية للولايات المتحدة الأمريكية وما تواجهه من تحديات. إن السياسة الأمريكية لا ترتبط بالضرورة بطموحات الشعب الليبي التي قلما تلتقي مع تلك السياسة. لذلك فإن إطلالة سريعة على التوصيف الأمريكي (بمختلف مستوياته ومصادره) للوضع السائد في ليبيا كدولة فاشلة وفي طريقها للحرب الأهلية، أو التفكك كمصدر تهديد لجيرانها، تفرض التساؤل عن الأهداف أو السياسة الأمريكية واتجاهاتها في المستقبل المنظور. وبينما تدعو أوضاع ليبيا إلى اهتمام من شأنه المساعدة على تجاوز الخطر، فإنه ليس هناك على ما يبدو أي بادرة لانشغال أو اهتمام أمريكي بليبيا خارج سياقات السياسة الأمريكية الشرق أوسطية التي لا تمثل فيها ليبيا حالياً أي موقع محوري يتجاوز أهميتها كمصدر للطاقة.

إن النظرية الواقعية تبدو ملائمة أكثر لتفسير السلوك الأمريكي وتحليل مكونات تلك السياسة وتفهم دوافعها ودينامياتها وأهدافها المتعددة المستويات. وبالنظر إلى أهمية الوطن العربي ضمن الاستراتيجية الكونية الأمريكية عموماً وما يتصل بأمن الطاقة خصوصاً، المقاربة الأكثر مناسبة للحالة. الواقعية تبدو ملائمة كإطار للتفسير عندما يتعلق الأمر أيضاً بتفهم الأسباب التي دعت الولايات المتحدة إلى اتخاذ ما قامت به من أعمال منذ ٢٠١١ واتصافها بدرجة ملحوظة من التردد. فالرئيس أوباما - وفقاً لهذه المقاربة - قرر التدخل، وإن كان من خلال القيادة من الكرسي الخلفي لكي يتجنب تحمل تكاليف القيادة من الكرسي الأمامي أو تحمل أعباء المواجهة المباشرة، وحتى يمكن توفير قوة بلاده ومواردها لمواجهة أحداث أكثر جسامة وربما أكثر أهمية. وإذا ما نظرنا إلى ما يجري في ليبيا منذ إطاحة نظام القذافي لوجدنا أن

القرار الأمريكي بالتدخل، وبالطريقة والرؤية المشار إليها، كان يتضمن أيضاً تبريراً للموقف الذي ستتخذه الولايات المتحدة تجاه ليبيا ذاتها بعد سقوط القذافي بما يجعلها في حل من أي مسؤولية مشابهة لما تتحمله جراء تدخلها في كل من أفغانستان والعراق.

وهكذا فإن الدراسة تنطلق من فرضية أن عدم وجود أي أهمية لليبيا ضمن الاستراتيجية الأمريكية من شأنه أن يلغي أي أهمية لليبيا. لذا فإن تحليل ما صدر عن الإدارة الأمريكية يعكس تجاهلها لمآلات ما قام به التحالف الذي قاده وإطلاقه قوى وديناميات كامنة ثم تركها لتتصارع فيما بعد، بينما تكتفي هي وحلفاؤها بالتفرج وعدم الرغبة في تحمل المسؤولية الكاملة الناجمة عن التدخل في ليبيا. وتحقيقاً لهذا الهدف فإن الدراسة ترصد سريعاً تطور العلاقات الليبية - الأمريكية منذ استقلال ليبيا حتى انطلاق الانتفاضة في شباط/فبراير ٢٠١١ وتحدد المفصل الجوهري التي حكمت السياسة الأمريكية تجاه ليبيا. كما تخصص الدراسة قسماً هاماً لتحليل دوافع العمل الأمريكي ضد نظام القذافي، لتخلص في النهاية إلى أن اللجوء إلى مبدأ التدخل للأغراض الإنسانية (Responsibility to Protect R2P) لتبرير العمل العسكري مبكراً جاء في الواقع ليعبر عن سياسة أمريكية محددة تجاه ليبيا، وكان شكلاً مما يمكن اعتباره انتهازية «سياسات اللحظة» (Politics of the Moment).

## أولاً: الولايات المتحدة وليبيا: تاريخ مضطرب وأسئلة بحاجة إلى إجابات

لا حاجة بنا هنا إلى الإشارة إلى كل مراحل التاريخ المضطرب للعلاقات الليبية - الأمريكية منذ أوائل القرن التاسع عشر انطلاقاً مما عرف في التاريخ الأمريكي بحروب البربري (Barbary War) وفي التاريخ الليبي بحرب السنوات الأربع، في ١٨٠١-١٨٠٤. يحفل تاريخ علاقات البلدين بتفاصيل كثيرة، ليس هنا المجال المناسب للتعرض لها، تبين بوضوح أن مكانة ليبيا في السياسة الأمريكية كانت تعاني اضطراباً متواصلاً<sup>(١)</sup>. ومن دون إغراق في التفاصيل، فإن ما يمكن استخلاصه هو أن جل تاريخ علاقات الولايات المتحدة الأمريكية المعاصرة بليبيا قد ارتكز حول محورين أساسيين: النفط والقذافي وارتباطهما بالموقع الجغرافي الاستراتيجي. وفي كل هذه المرحلة لا نجد سوى ما يرتبط تقريباً بهذين العنصرين، خاصة الرغبة الأمريكية في التخلص من القذافي بعد سنوات من الممالة والتعاون.

حفلت العقود التالية بعلاقات ليبية - أمريكية وثيقة حيث ظلت المملكة الليبية ضمن جماعة الحكومات العميلة للسياسة والمصالح الأمريكية<sup>(٢)</sup>. غير أن انقلاباً قضى على الملكية في ١٩٦٩

(١) Douglas Little, «On the History of Relations: To the Shores of Tripoli: America, Qaddafi, and Libyan Revolution, 1969-1989.» *The International History Review*, vol. 35, no. 1 (2013), pp. 70-99.

(٢) Ronald Bruce St. John, *Libya and the United States: Two Centuries of Strife* (Pennsylvania: Pennsylvania University Press, 2002), pp. 87-151.

قاد إلى إعادة صياغة العلاقات الليبية - الأمريكية. وبصرف النظر عما يقال اليوم عن دور أمريكي في تدبير الانقلاب، فإن العلاقات الليبية - الأمريكية لم تشهد سوى التطور الإيجابي، حتى إن الولايات المتحدة أخلت قواعدها العسكرية في ليبيا في ما يمكن اعتباره نوعاً من الدعم للنظام الجديد<sup>(٣)</sup>.

## ١- الأهمية الاستراتيجية لليبيا

### تقع ليبيا في منطقة

**استراتيجية هامة للغاية، فهي نقطة التقاء ورابط بين أوروبا، المتوسط، الوطن العربي وأفريقيا بشكل لا يمكن إهماله.**

لا غرو أن ليبيا أهمية استراتيجية لا يمكن تجاهلها؛ فهي لم تكن منذ وجودها على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط كياناً هامشياً لا أهمية استراتيجية له، وهذا أمر اختبرته الولايات المتحدة الأمريكية جيداً منذ كانت كياناً غرضاً مطلع القرن التاسع عشر فعرفت بمرارة خطر أن تسيطر قوة

غير صديقة أو موالية على شاطئ يمتد لنحو ألفي كيلومتر على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط وتذوقت عواقبه. ذلك ما يعبر عنه ما يرد عن شاطئ طرابلس في نشيد البحرية الأمريكية استذكراً للدرس المرّ عندما قام يوسف باشا القرهمانلي حاكم طرابلس في ١٨٠٤ بتدمير قطع للبحرية الأمريكية وأسر سفينتها الأم فيلادلفيا وفرض إتاوات على البحرية والتجارة الأمريكية في المتوسط.

تقع ليبيا في منطقة استراتيجية هامة للغاية، فهي نقطة التقاء ورابط بين أوروبا، المتوسط، الوطن العربي وأفريقيا بشكل لا يمكن إهماله. كان ذلك واضحاً في التنافس الدولي على ليبيا عقب نهاية الحرب العالمية الثانية وهو ما قاد إلى منحها الاستقلال للحيلولة دون استئثار قوة ما بالسيطرة عليها. كما بينت مغامرات القذافي أن بإمكان من يسيطر على ليبيا أن يهدد أمن هذه الأقاليم مجتمعة واستقرارها. ليبيا أيضاً من أهم البلدان المنتجة للنفط وتبلغ حصتها الحالية ٢ بالمئة من المنتج عالمياً، وقد قدرت وكالة الطاقة الأمريكية أن احتياطي النفط الليبي ارتفع من ٤٨ مليار برميل إلى ٧٤ مليار برميل. وبذلك تحتل ليبيا المركز الخامس عالمياً في احتياطيات النفط الصخري بعد روسيا وأمريكا والصين والأرجنتين. وأوضحت الوكالة أن الكمية الجديدة تضاف إلى المخزون لترفع العمر الافتراضي لإنتاج النفط الليبي من ٧٠ عاماً إلى ١١٢ عاماً، بعد الإعلان عن أن الاحتياطي الليبي من النفط المخزون بالصخور والقابل للاستخراج بالتقنيات الحالية يبلغ ٢٦ مليار برميل. وكشفت الوكالة عن ارتفاع احتياطيات الغاز الليبي إلى ثلاثة أضعاف، حيث بلغ ١٧٧ تريليون قدم مكعب بعد أن كان ٥٥ تريليون قدم مكعب، وذلك بإضافة ١٢٢ تريليون قدم مكعب من الاحتياطي القابل للاستخراج من الصخور<sup>(٤)</sup>. ولا بد من

(٣) مصطفى عمر التير، صراع الخيمة والقصر: رؤية نقدية للمشروع الحداثي الليبي (بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٤)، ص ١٦٣.

(٤) <<http://www.eia.gov/countries/cab.cfm?fips=ly>>, (25 November 2014), «Libya», eia

الإشارة إلى ما يميز نفط ليبيا من مواصفات مثل الخفة وسهولة الاستخراج بتكاليف قليلة والخلو من الشمع «النفط الحلو»، بما يجعله غير قابل للتعويض، وخاصة لقربه من المستهلكين في أوروبا، ولسهولة وأمان تصديره بعيداً من ممرات تصدير نفط الشرق الأوسط والخليج العربي التي تعرف التوتر المتواصل<sup>(٥)</sup>.

كما تتوافر في البلاد إمكانات لإنتاج الطاقة البديلة أو النظيفة باستغلال الطاقة الشمسية أو طاقة الرياح والحرارة الكامنة بالصحراء الليبية التي تعتبر مصدراً مثالياً للطاقة البديلة يمكن لأوروبا وغيرها الاعتماد عليه، وهو ما يُبرز الأهمية الحالية والمستقبلية لليبيا ضمن سياسة الطاقة العالمية. لقد أكدت وزارة الطاقة الأمريكية أن ليبيا التي تمتاز بالرطوبة المنخفضة لمناخها وبالنسبة العالية جداً للأيام المشمسة في العام تعتبر موقعاً مثالياً لاستغلال تقنيات الطاقة الشمسية. لنتذكر أن أكثر من ٩٠ بالمئة من مساحة ليبيا البالغة نحو مليوني كم<sup>٢</sup> هي صحراء مشمسة حارة طوال العام تقريباً. وإذا ما تم تطوير التقنية المناسبة وتطبيقها، فإن ليبيا ستصبح في مركز حقبة ما بعد النفط في صناعة الطاقة العالمية<sup>(٦)</sup>.

## ٢- النفط والقذافي: سياسات التناقض

أمم القذافي النفط وكل القطاعات الاقتصادية وضيق الخناق على الشركات وأعاد صياغة شروط المشاركة في قطاع النفط وقوانينها ووضع سقفاً للإنتاج بدعوى إطالة عمر الاحتياطيات. كانت الثروة الهائلة التي تحققت لليبيا وسيلة لامت توجّهات القذافي الذي انطلق في مغامرات إقليمية وعالمية قادته إلى التصادم مع السياسة الأمريكية، وخاصة بعد أن باشر دعم الإرهاب الدولي. اتخذت الولايات المتحدة خطوات تقلل الارتباط بالقذافي الذي واصل استخدام شعارات معادية للغرب والتهجم على الولايات المتحدة وسياساتها الخارجية بل حرص على مهاجمة مصالحها ووجودها بدءاً بالهجوم على السفارة الأمريكية بطرابلس وإحراقها في كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٩<sup>(٧)</sup>. قطعت الولايات المتحدة العلاقات الدبلوماسية من جانب واحد في ١٩٨١ وحظرت استيراد النفط الليبي في ١٩٨٢ وفرضت عقوبات متنوعة على ليبيا خلال معظم العقدين الأخيرين من القرن الماضي. نفذ صبر الولايات المتحدة تجاه القذافي عندما بلغت به الجرأة استهداف المصالح والأرواح الأمريكية مباشرة منذ حادثة ملهى لابل في برلين عام ١٩٨٦. هكذا انتقلت العلاقات الليبية - الأمريكية إلى مرحلة الخلاف ثم العداء والقطيعة التي كانت قد بلغت أوجها عند اعتبار الولايات المتحدة القذافي العدو رقم واحد لها<sup>(٨)</sup>. وهكذا بدا واضحاً أن العلاقات

(٥) Jason Pack, «Libya is Too Big to Fail: International Intervention is the Right Move -- and Not Just for Humanitarian Reasons,» *Foreign Policy*, 18/3/2014, <[http://www.foreignpolicy.com/articles/2011/03/18/libya\\_is\\_too\\_big\\_to\\_fail](http://www.foreignpolicy.com/articles/2011/03/18/libya_is_too_big_to_fail)>.

*Tripoli Post*, no. 171.

(٦) التير، صراع الخيمة والقصر: رؤية نقدية للمشروع الحداثي الليبي، ص ١٤٧-١٤٨.

(٧) David Hirst, «Colonel Muammar Gaddafi obituary,» *The Guardian*, 20/10/2011, <<http://www.theguardian.com/world/2011/oct/20/colonel-muammar-gaddafi>>.

(٦)

(٧)

(٨)

تتجه إلى مزيد من التوتر والصدام خاصة بعد اتهام ليبيا في ١٩٩١ بتدبير حادثة إسقاط طائرة ركاب مدنية أمريكية فوق بلدة لوكربي الاسكتلندية في ١٩٨٨.

كانت حادثة لوكربي مناسبة لفرض عقوبات أمريكية ودولية على ليبيا لعدة سنوات واعتبار ليبيا دولة مارقة ظل اسمها على لائحة الداعمين للإرهاب لعقود. ويتضح من حقيقة كون الاتهام لم يوجه لليبيا إلا عقب مرور ثلاث سنوات من الحادثة، ومما ظهر مؤخراً من دلائل ومؤشرات من مصادر مختلفة على أن ليبيا لم تكن الفاعل، أن الاتهام وجه لليبيا لأغراض سياسية بحثة لا صلة لها بما أسفرت عنه التحقيقات الجنائية. لكن ما حدث من تطورات إقليمية ومحلية دفعت القذافي إلى القبول بالمسؤولية ضمن إعادة التفكير في خياراته، إذ قرر في ٢٠٠٣ وبعد مفاوضات طويلة مع الولايات المتحدة وبريطانيا أن يقرر العودة إلى المجتمع الدولي وأن يتخلى عن سياسته السابقة. وقد تزامن ذلك مع ما كانت الولايات المتحدة تجريه من إعادة تقدير لحساباتها فقررت إدارة الرئيس بوش في ٢٠٠١ أن أمن الطاقة الأمريكية يستوجب إعادة النظر في ما كان مفروضاً على ليبيا من عقوبات والحاجة إلى استثمارات في قطاع الطاقة في ليبيا. لذلك سعت الإدارة الأمريكية مدعومة بالشركات النفطية لجعل الكونغرس لا يمدد تلك العقوبات ويسمح بتجديد نشاط شركات النفط في ليبيا<sup>(٩)</sup>.

أعيدت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين؛ وكان ذلك أحد أهم التطورات التي جرت لتتم إعادة تأهيل ليبيا في المجتمع الدولي وترفع عنها كل أنواع العقوبات، بل لتصبح شريكاً في الحرب الأمريكية على الإرهاب. هكذا حقق ليّ عنق الحقيقة في لوكربي غرضه السياسي بنجاح وأصبح ممكناً الحديث عن نظام القذافي الذي يمكن إعادة تأهيله والتعامل معه. وما إن حل عام ٢٠٠٩ حتى كان القذافي محل احتفاء وحفاوة في عواصم الغرب وأصبحت ليبيا عضواً بمجلس الأمن الدولي وقبله مجلس حقوق الإنسان وبترحيب غربي. بدا نظام القذافي يقدم على أنه نموذج ينبغي أن يحتذى وخاصة من قبل الدول الساعية للسلاح النووي وأصبح القذافي يستقبل في عواصم الغرب بالترحاب وتعدّد معه الصفقات.

لم يتخلّ القذافي تماماً عن لغته المعارضة للنظام العالمي السائد وقاد مبادرات أفريقية عاكست مطامح الولايات المتحدة وحلفائها، وعبر عن درجة عالية من الإحباط من عدم تلقّيه المكافأة المناسبة<sup>(١٠)</sup>. مع ذلك فقد تميزت العلاقات الليبية - الأمريكية بالتطور السريع الإيجابي على مستويات مختلفة وكانت دوائر واشنطن تحتفي بأبناء القذافي وتعدّد معهم الصفقات. ووفقاً لجون ألترمان (Jon Alterman) فقد انتقلت العلاقات تدريجياً وبثقة متبادلة من نجاح إلى آخر، وأخذت دائرة المصالح المشتركة تتسع، وخاصة في مجال مكافحة التطرف الإسلامي والحرب على الإرهاب وكشف الشبكة الدولية الخاصة بتهريب مكونات الصناعة النووية. باختصار

Yahia H. Zoubir, «Libya in US Foreign Policy: From Rogue State to Good Fellow?», *Third World Quarterly*, vol. 23, no. 1 (2002), pp. 46-84.

Jon B. Alterman, «Libya and the U.S.: The Unique Libyan Case», *Middle East Quarterly*, (١٠) vol. 13, no. 1 (Winter 2006), <<http://www.meforum.org/886/libya-and-the-us-the-unique-libyan-case>>.

فاقت المكاسب التي حققتها الولايات المتحدة من إعادة العلاقات والتقارب مع نظام القذافي التوقعات<sup>(١١)</sup>.

كانت الولايات المتحدة تواجه تحديات كثيرة أمام سياستها العربية التي وإن لم تنفصل عن الأمن والنفط والقضية الفلسطينية، فإنها أيضاً لم تكن منعزلة عن التنافس الدولي الذي يميز العلاقات الدولية بشكل عام، لذلك فإن الولايات المتحدة كانت حريصة على إعادة تأهيل نظام القذافي وتوظيفه نجاحاً خدمة لتلك السياسة<sup>(١٢)</sup>. ما إن حل عام ٢٠٠٦ حتى بدا واضحاً أن الولايات المتحدة تدعم التحول داخل النظام رغم بعض الحساسيات التي حرصت الإدارة الأمريكية على اعتبارها جزءاً من الماضي سيختفي سريعاً. هكذا فإن زيارة الوزير كوندوليزا رايس (Condoleza Rice) للجلوس مع القذافي كانت الخطوة البروتوكولية الأخيرة لبيان أن عملية إعادة تأهيل القذافي قد بلغت غايتها المرجوة بينما ظلت مسألة دعم الديمقراطية وحقوق الإنسان هامشية بين مكونات العلاقات الثنائية<sup>(١٣)</sup>.

### ثانياً: التدخل الأمريكي في ليبيا: الواقعية الجديدة

انطلق الربيع العربي باحتجاجاته الشعبية العارمة من تونس في أواخر ٢٠١٠ وكان من المتوقع أن تنضم ليبيا سريعاً إلى موجة الاحتجاجات. لم يمضِ وقت طويل حتى غدت ليبيا ساحة لاحتجاجات مماثلة، وليرتفع سقف مطالب المحتجين من إصلاحات اقتصادية وسياسية إلى المطالبة بإسقاط النظام. كانت تلك التطورات هائلة، وخاصة في وقعها على الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت قد بدت راضية على علاقاتها مع النظم التسلطية في المنطقة بما فيها القذافي. لذلك كان الموقف الأمريكي في البداية أكثر ارتباكاً مما انتصف به الأساس الفكري أو الاستراتيجي الذي استند إليه ما عُرف بمبدأ أوباما (Obama Doctrine) للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، والذي لم يكن ليتجاوز في جوهره جملة الأفكار الرومانسية النبيلة والحالة التي عبر عنها أثناء خطابه الشهير في القاهرة<sup>(١٤)</sup>.

غير أن اتساع نطاق الاحتجاجات مكن الولايات المتحدة من أن تستغلها فقررت مبكراً سلب الشرعية الدولية عن نظام القذافي ومواجهته عسكرياً ثم إسقاط نظامه. فجأة تغيرت الأمور وبدأ أن الولايات المتحدة الديمقراطية أكثر عداء وكرهاً للقذافي وانتقلت من موقع إعادة تأهيل القذافي والارتباط المصلحي معه إلى المناداة بسلب الشرعية الدولية عن نظامه ومواجهته بالقوة

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) يوسف الصواني، ليبيا: الثورة وتحديات بناء الدولة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣)،

ص ١٠-١٧.

(١٣) Yahia H. Zoubir, «The United States and Libya: The Limits of Coercive Diplomacy», *The Journal of North African Studies*, vol. 16, no. 2 (June 2011), pp. 278-291.

(١٤) «President Obama's Speech in Cairo: A New Beginning», White House, <<http://www.whitehouse.gov/blog/newbeginning/transcripts>>.

حتى تم قتله وإسقاط نظامه. فلماذا حدث التحول؟ لماذا أصبح القذافي كما وصفته الوزيرة كلينتون «ديكتاتوراً شيطانياً وحقيقياً»<sup>(١٥)</sup>!

## • هل من أهمية لليبيا؟

تدلنا تطورات الموقف الأمريكي أن قرار التدخل لم يكن انعكاساً للمبادئ أو القيم ولا مجرد انتصار للحرية، بل إن القرار بالتدخل واستخدام الرئيس أوباما صلاحيات هي محل جدل في مباشرة العمليات العسكرية كان تعبيراً عن رؤية تتفق مع مبدأ أوباما ومقاربتة للمصالح القومية من دون أن تعني الذهاب منفردة إلى الحرب كما حدث في مناسبات تدخل أمريكا الخارجي قبل الحادي عشر من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١.

إن التدخل الأمريكي في ليبيا جاء أيضاً ترجمة لما احتوته الرؤية الاستراتيجية للأمن القومي الصادرة في ٢٠١٠ التي انطلقت من إمكانية وأهمية العمل على تحقيق المصالح الأمريكية من خلال الوسيلة الدبلوماسية، وخاصة عبر العمل خلال المنظمات والمؤسسات الدولية. كان الغرض من التركيز على العمل مع المجتمع الدولي تجاوز السلبات التي ترتبت على قيام الولايات المتحدة في السابق منفردة بأعمال خارجية واحتلال لدول أخرى. كان واضحاً حرص الرئيس أوباما، وهو القانوني الذي يتميز بمقاربة تجنب المخاطر، على أن يظهر للمجتمع الدولي إحجام بلاده عن استعمال قوتها العارية منفردة خارج إطار المعايير الدولية ومشاركة حلفائها المسؤولية.

إن ما جرى أمر ساعد، كما أثبتت استطلاعات الرأي العام العربي تجاه أمريكا عقب ٢٠١١، على إزالة الصورة النمطية لها كقوة غاشمة وإمبريالية داعمة للعدوان على العرب وحامية للدكتاتورية والتسلط، ويمكن التدليل على ذلك من أن الليبيين بعد ٢٠١١ أصبحوا يقدرون الأمريكيان بدرجة عالية فاقت الكنديين مثلاً<sup>(١٦)</sup>. ولا جدال في أن هذا التحول في الرأي العام العربي يعد حاسماً في كسر تلك الصورة النمطية المعادية وكسر تلك الدينامية التي أنتجت نزعة العداء لأمريكا واستهداف مواطنيها ومصالحها<sup>(١٧)</sup> رغم أن الموقف من البحرين بين إلى أي مدى أيضاً يمكن للولايات المتحدة أن تمارس النفاق<sup>(١٨)</sup>.

---

Renee Parsons, «The Regime Changers: From Libya to Ukraine,» Counter Punch (27 March ١٥) 2014), <<http://www.counterpunch.org/2014/03/27/from-libya-to-ukraine/>>.

Max Fisher, «Libyans Now Like America Slightly More Than Do Canadians,» *The Atlantic* (13 August 2012), <<http://www.theatlantic.com/international/archive/2012/08/libyans-now-like-america-slightly-more-than-do-canadians/261078/>>.

(١٧) انظر عرضاً لنتائج استطلاعات الرأي العام العربي نحو الولايات المتحدة في: يوسف الصواني، *اتجاهات الرأي العام العربي نحو الديمقراطية: تحليل نتائج الدراسة الميدانية، وقفية جاسم القطامي للديمقراطية وحقوق الإنسان* (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٤)، ص ١٦٢-١٦٣.

Hugh L. Atkinson, «Strategic Implications of U.S. Military Action in Libya,» *International Affairs*, vol. 15, no. 3 (December 20012), <[http://www.faoa.org/resources/documents/pub%2050%20-%20final%20-%202013%20dec%2012\\_online%20edition.pdf](http://www.faoa.org/resources/documents/pub%2050%20-%20final%20-%202013%20dec%2012_online%20edition.pdf)>.

إن الموقف الأمريكي هو في الحقيقة - ووفقاً للمنظور الواقعي في التحليل - أكثر ارتباطاً وصلة بالنفط والغاز والمصالح الأمريكية من تعبيره عن القيم والمثل المتصلة بدعم الثورة أو الديمقراطية التي تجهد نظرية السلام الديمقراطي نفسها في الدفاع عنها. غير أن ذلك لا يتصل مباشرة بالمصلحة الأمريكية النفطية؛ فالولايات المتحدة توقفت عن استيراد النفط الليبي منذ عقود وإن كانت الشركات النفطية الأمريكية المؤثرة تتطلع وترغب وتسعى للوصول إلى ليبيا بأي ثمن أو طريقة<sup>(١٩)</sup>. ومع أن هناك تقارير عن إمكان قيام الولايات المتحدة بالاكتماء التام بحلول ٢٠٣٠ فإن هناك جوانب لا بد من مراعاتها. فالنفط - والغاز - الليبي مهم ومركزي للسياسة الأمريكية في المنطقة ويتصل بالحرص الأمريكي على تأمين مصادر الطاقة لحلفائها في أوروبا وهو ما يرتبط بقوة وثيقة أيضاً بتماسك حلف شمال الأطلسي ومهامه أو دوره الاستراتيجي<sup>(٢٠)</sup>.

السياسة الكونية للولايات المتحدة تقتضي أيضاً العمل على حرمان المنافسين أو القوى الصاعدة كالصين من النفاذ إلى الموارد بما يجعلها أكثر قدرة على منافسة الولايات المتحدة كونياً في نظام عالمي يتميز بالتحول. لذلك لا يمكن تجاهل أهمية موقع ليبيا ضمن الاستراتيجية الكونية للولايات المتحدة أو سياستها الإقليمية بأفريقيا، فليبيا تقع في نقطة تربط أجزاء هامة من أفريقيا شمال الصحراء وجنوبها. لذلك سعت الولايات المتحدة مبكراً لمحاولة إقناع القذافي بالانضمام إلى سياستها في أفريقيا أو عدم معارضتها على الأقل، وخاصة ما يتصل بالقوة المعروفة أفريكوم (AFRICOM). بيد أن القذافي عبّر سراً وعلمانية عن رفضه، بل ومحاربه لأهدافها المتصلة بالسيطرة على موارد أفريقيا والحيلولة دون وصول المنافسين إليها<sup>(٢١)</sup>.

لقد أوضح أوباما في الوثيقة الخاصة بالاستراتيجية الدفاعية أن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يشترك مع منطقة آسيا - المحيط الهادي كونهما أهم منطقتين لاهتمام السياسة الأمريكية. الوثيقة تقرر أن الولايات المتحدة ستواصل وضع أولوية لوجودها وحلفائها عسكرياً في الدول الصديقة ودعمها لها في/وحول الشرق الأوسط كما حددت عشر مهام للقوة العسكرية الأمريكية، ثمان منها على الأقل تتصل مباشرة بالاهتمامات الأمريكية في منطقتنا العربية<sup>(٢٢)</sup>.

(١٩) منذ حدوث الانفراج في علاقات ليبيا مع الغرب عام ٢٠٠٣، سارعت الشركات الغربية والأمريكية بالعودة إلى ليبيا وإبرام الصفقات مع نظام القذافي، بل إن رؤساء دول وحكومات الغرب سعوا لمساعدة شركاتهم مثل Repsol, Wintershall, Total, Eni, OMV, Shell, The Oasis Group, Chevron, Marathon, ExxonMobil, and BP.

كما كانت أول اتفاقات عقدها المجلس الوطني الانتقالي في ٢٠١١ نفطية مع دول غربية.

(٢٠) حول المصالح النفطية للدول الغربية في ليبيا، انظر: Richard Rousseau, «Libya: A Very Long War Over Competing Energy Interests», *Foreign Policy Journal*, 19/11/2012, <<http://www.foreignpolicyjournal.com/2011/11/19/libya-a-very-long-war-over-competing-energy-interests/>>.

(٢١) «القذافي يستقبل قائد القيادة الأميركية في إفريقيا»، *الوسط (البحرين)*، ٢٣/٥/٢٠٠٩، <<http://www.alwasatnews.com/2451/news/read/53873/1.html>>.

(٢٢) «Sustaining U.S. Global Leadership: Priorities for 21<sup>st</sup> Century Defense», U.S. Department of Defense (January 2012), <[http://www.defense.gov/news/defense\\_strategic\\_guidance.pdf](http://www.defense.gov/news/defense_strategic_guidance.pdf)>.



إن الاستراتيجية الأمريكية ترتبط كثيراً بأمن الطاقة لدرجة جعلت بعض المحللين يصفونها بـ «الإمبريالية النفطية الجديدة» وهي التي تمثل جوهر التحرك الأمريكي في عصر العولمة وإن كان ذلك يعتمد ظاهرياً على تحرير التجارة الدولية ونشر اقتصاد السوق<sup>(٢٣)</sup>.

وبالعودة إلى الدور الذي تمارسه والمكانة التي تمثلها موارد الطاقة في المنطقة والأهمية الخاصة للنفط والغاز الليبي، فمن المهم الإشارة إلى أن التحولات التي جرت على قطاع الطاقة العالمية والتوقعات بشأن إمكان استغلال الولايات المتحدة والأهمية المتصاعدة للنفط والغاز الصخري عالمياً، لا تعني بحال من الأحوال تراجع أهمية الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ووفقاً لكبير الاقتصاديين في وكالة الطاقة الدولية (IEA) فإن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا قد يصبح أكثر أهمية مع منتصف ٢٠٢٠ وسيبقى ويظل في قلب الصناعة النفطية العالمية<sup>(٢٤)</sup>.

هذا ما نتبينه بوضوح من البرقيات التي نشرت بموقع ويكيليكس الشهير بشأن ليبيا. ففي برقية من السفارة الأمريكية بطرابلس تجري الإشارة إلى الانزعاج الأمريكي الذي أثاره خطاب للقذافي وأشار فيه بوضوح إلى أن الشركات الأجنبية تسيطر وتتحكم في النفط الليبي محقة الأموال الطائلة، وأن الوقت قد حان ليتولى الليبيون الأمر بأنفسهم وأن يحصلوا على تلك الأموال بالسيطرة على مواردهم. تقول البرقية: «إنه من الظاهر أن الليبيين سيسلكون بوتيرة متصاعدة سياسات وطنية في قطاع الطاقة التي يمكن أن تهدد الاستغلال الأمثل لاحتياطيات ليبيا الهائلة من النفط والغاز»<sup>(٢٥)</sup>.

هذا ما عادت برقية أخرى تذكره معبرة عن القلق من آفاق سلبية لاعتزام القذافي تأمين البترول والغاز وما صدر عنه خلال لقاء جمعه بالرئيس التنفيذي لشركة كونوكو - فيليبس (Conoco-Phillips) في ٢٠٠٨ حيث هدد بطرد الشركات الأمريكية وخفض إنتاج البلد من النفط<sup>(٢٦)</sup>. وقد أشارت صحيفة نيويورك تايمز في عددها الصادر يوم ١١ حزيران/يونيو ٢٠١١ إلى اتخاذ ليبيا خطوات عملية في هذا السياق حيث قامت بتعديل قوانين العمل من أجل تأمين فرص العمل وقامت بالضغط على الشركات لتوظيف أبناء البلد في مواقع قيادية<sup>(٢٧)</sup>.

Sam Raphael and Doug Stokes, «Globalizing West African Oil: US «Energy Security» and the Global Economy,» *International Affairs*, vol. 84, no. 4 (2011), <[http://www.researchgate.net/publication/227720229\\_globalizing\\_west\\_african\\_oil\\_us\\_energy\\_security\\_and\\_the\\_global\\_economy](http://www.researchgate.net/publication/227720229_globalizing_west_african_oil_us_energy_security_and_the_global_economy)>.

Jacob Stokes, «After the Awakening Future Security Trends in the Middle East,» <[http://www.cnas.org/sites/default/files/publications-pdf/CNAS\\_MiddleEastMegatrends\\_stokes.pdf](http://www.cnas.org/sites/default/files/publications-pdf/CNAS_MiddleEastMegatrends_stokes.pdf)> (Accessed 26 May 2014).

«Browse by Embassy Tripoli,» Wiki-Leaks, <[http://wikileaks.org/origin/37\\_0.html](http://wikileaks.org/origin/37_0.html)>, and Gee Caleb, «In Syria, as in Libya, the United States is not on the Peoples' Side,» U. S. Hypocrisy (9 September 2013), <<http://ushypocrisy.com/2013/09/09/in-syria-as-in-libya-the-united-states-is-not-on-the-peoples-side/>>.

«Viewing Cable 09tripoli71, Al-Qadhafi's Feint: Libyan Oil Nationalization Unlikely,» Wikileaks, <<http://wikileaks.org/cable/2009/01/09tripoli71.html>>.

Brian Becker, «Why the NATO Powers are Trying to Assassinate Muammar Gaddafi: Protecting Civilians or Western Oil Companies?,» *Liberations* (13 June 2011), <<http://www.pslweb.org/liberation-news/news/why-the-nato-powers-want-to-assassinate-gaddafi.html>>.

في كلمته التي ألقاها يوم ١٩ آذار/مارس ٢٠١١ برر الرئيس أوباما التدخل الأمريكي في ليبيا رغم التحفظات التي قدمتها وزارة الدفاع والكونغرس قائلاً: «اليوم نحن جزء من تحالف عريض. نحن نستجيب لمطالب شعب يتعرض للخطر. إننا نعمل لمصالح الولايات المتحدة في العالم»<sup>(٢٨)</sup>. وعندما ارتفعت وتيرة النقد لما قام به الرئيس منفرداً من عمليات عسكرية ضد نظام القذافي فقد وجد من المناسب أن يمارس الضغط على الحلفاء لكي يتولوا مسؤولية أوسع ومهام أكبر في العمليات العسكرية التي تم نقلها للناطو (NATO) في ما يشبه قيام الولايات المتحدة بالحرب ضد القذافي عن طريق الوكلاء.

## تنحدر ليبيا نحو مزيد من الفشل والإرباك الذي يهدد كل شيء بما في ذلك كياناتها الإقليمية ووحدتها الترابية والوطنية.

عملياً كانت القوة الأمريكية هي المسؤولة والمنفذة للعمليات العسكرية الحاسمة التي أعلن الرئيس أوباما بكل سرور عن مكوناتها وبما لا يجعل مجالاً للشك في أن الولايات المتحدة كانت الفاعل الرئيس. ففي خطابه يوم ٢٨ آذار/مارس ٢٠١١ بين أوباما مكونات العمل العسكري الذي قامت به قوات بلاده والتي شملت: القضاء على قوات القذافي المتجهة صوب بنغازي؛ القضاء على القوات الحكومية الليبية بالمدن القريبة من بنغازي غرباً كأجدابيا؛ القضاء على الدفاعات الجوية الليبية؛ تدمير الدبابات والموارد العسكرية التي كانت تعج بها المدن والقرى الليبية؛ قطع معظم خطوط الإمدادات. مع ذلك فقد قال أوباما إن الدور العسكري الأمريكي كان محدوداً<sup>(٢٩)</sup>!! رغم أن ما تم الإعلان عنه من تكاليف العملية لدافعي الضرائب الأمريكيين بلغ أكثر من بليون دولار أمريكي! ورغم المعارضة الواسعة من الكونغرس للتدخل والعمل العسكري في ليبيا فقد كانت الولايات المتحدة الشريك الجوهري الحاسم على مدى سبعة أشهر من العمليات العسكرية في ليبيا.

إن استجابة الرئيس الأمريكي للربيع العربي عموماً، وللحالة الليبية خصوصاً، تعكس تلك السياسة والمبدأ بما يجعلها في نظر الكثيرين مجرد ردة فعل حذرة ومتواضعة وتتميز بالظرفية لا بالخصائص بالاستراتيجية. ومع أن هذا لا يمثل في نظرنا حقيقة السياسة الأمريكية أو جوهرها تجاه ليبيا إلا أنه لا يمكن تجاهل ارتباطه بالظرفية التاريخية التي حدث فيها الربيع العربي في وقت كانت فيه الولايات المتحدة وأوروبا في أتون أزمة خانقة وحالة من الشك بالنفس وارتدادات الأزمة الاقتصادية وحرب العراق<sup>(٣٠)</sup>. ويمكن القول إن هذه الواقعية تعتمد ما يسميه

(٢٨) انظر ملاحظات الرئيس أوباما بشأن ليبيا في ١٩ آذار/مارس ٢٠١١، في: «Remarks by the President on Libya», White House (19 March 2011), <<http://www.whitehouse.gov/the-press-office/2011/03/19/remarks-president-libya>>.

(٢٩) «President Obama's Speech on Libya», White House (28 March 2011), <<http://www.whitehouse.gov/photos-and-video/video/2011/03/28/president-obama-s-speech-libya>>.

(٣٠) Shadi Hamid and Peter Mandaville, «Bringing the United States Back into the Middle East», *Washington Quarterly*, vol. 36, no. 4 (Fall 2013), <[http://csis.org/files/publication/twq\\_13winter\\_hamid-mandaville.pdf](http://csis.org/files/publication/twq_13winter_hamid-mandaville.pdf)>.

بعض المحللين للمثاليين الأفغان والليبي بسياسة «تحقيق الهيمنة» من خلال تأكيد الدوافع التي تخدم التدخل في إطار التكتيك التبريري المصمم لتأمين خضوع أو قبول المشككين عبر العمل على تضيق المجال أو الفضاء الذي يمكن فيه بناء بدائل معارضة بنجاح<sup>(٣١)</sup>.

إن مراجعة لجدول أعمال الوزارة ورحلاتها خلال تلك الفترة يؤكد تماماً استخدام أسلوب الإكراه المشار إليه منذ تشكيل ما عرف بمجموعة الاتصال بشأن ليبيا (Libya Contact Group) في مطلع ٢٠١١ وما تلا ذلك من لقاءات عبر عواصم عديدة للحيلولة دون أي بدائل أخرى لمواجهة الأزمة بل تؤكد العمل المحموم على إطاحة القذافي<sup>(٣٢)</sup>.

إن المراجعة الواعية لتسلسل الأحداث والحقائق تبين أن الهدف لم يكن حماية المدنيين، بل إن الأمر كان في حقيقته يتعلق بإسقاط النظام والتخلص من القذافي. لذلك نجد أنه تم اللعب بالحقائق ونشر المعلومات التي تساعد على جعل الأمر يبدو عملاً إنسانياً خالصاً ويبرر التدخل العسكري. وتقرر دراسة نشرت في عدد الصيف ٢٠١٣ من مجلة (*International Security*) وأعدّها باحث من جامعة هارفارد الأمريكية سعى إلى استخلاص الدروس من التدخل الغربي في ليبيا أن هناك حقائق تناقض كثيراً ما تعارفنا عليه بشأن الانتفاضة الليبية والتدخل الغربي لدعمها. ولعل أكثر هذه المعلومات إثارة هي القول بأن الانتفاضة الليبية لم تكن أبداً سلمية منذ بدايتها بل كانت عنفية ومسلحة، وأن نظام القذافي في الواقع لم يلجأ إلى الاستخدام غير المميز للقوة ولم يستهدف المدنيين، وأن تدخل حلف شمال الأطلسي رغم استلزامه المبدأ الإنساني، لم يستهدف أساساً حماية المدنيين بل إسقاط نظام القذافي ولو على حساب زيادة الضرر بالليبيين<sup>(٣٣)</sup>.

تبين دراسة باحث هارفارد أن ما قام به حلف الناتو جعل أمد الحرب أطول ست مرات مما كان يمكن أن يكون عليه الحال بلا التدخل الخارجي، وأن عدد القتلى أو الضحايا تضاعف أيضاً سبع مرات على الأقل علاوة على ما ترتب على ذلك من انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان. ففي مدينة مصراته مثلاً وهي المدينة التي تحملت أكبر عبء من الضحايا من النساء والأطفال والتدمير بفعل قصف قوات القذافي، نجد، وفقاً لتقرير Human Rights Watch، أنه من بين ٩٤٣ جريحاً كان عدد النساء والأطفال فقط ٣٠ بما يشير إلى أن قوات القذافي استهدفت المقاتلين أساساً خلال الأسابيع السبعة الأولى. وخلال الفترة ذاتها فإن ٢٥٧ شخصاً فقط قتلوا من بين سكان المدينة الذين يقدر عددهم بنحو ٤٠٠٠٠ نسمة وهي نسبة ضئيلة للغاية لا تتجاوز ٠,٠٠٠٦ بالمئة وهذا مؤشر أن قوات النظام تجنبت الاستخدام غير المميز للقوة.

(٣١) Jack Holland and Mike Aaronson, «Dominance through Coercion: Strategic Rhetorical Balancing and the Tactics of Justification in Afghanistan and Libya», *Journal of Intervention and State-building*, vol. 8, no. 1 (2014), <<http://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/17502977.2013.856126#.uzaaum4s-brc>>.

Parsons, «The Regime Changers: From Libya to Ukraine».

(٣٢)

Alan Kuperman, «Lessons from Libya: How Not to Intervene», Belfer Center (September 2013), <[http://belfercenter.ksg.harvard.edu/publication/23387/lessons\\_from\\_libya.html](http://belfercenter.ksg.harvard.edu/publication/23387/lessons_from_libya.html)>.

(٣٣)

بالمقابل فإن قوات الناتو هاجمت القوات النظامية من دون تمييز، بما في ذلك تلك التي كانت في وضع انسحاب أو في مدن لم تكن مسرحاً لعمليات قتال أو لم تمثل خطراً على المدنيين كما في منطقة سرت. كما إن التحالف الدولي واصل دعم الثوار بكل أنواع الدعم والسلاح والجنود على الأرض حتى بعدما رفضوا عرض النظام وقف إطلاق النار والتفاوض وهو ما كان من شأنه تقليل عدد الضحايا وحماية المدنيين. لقد تدخل الغرب في وقت كان فيه النظام قد استعاد فعلياً السيطرة على معظم البلاد وكان الثوار في الشرق قد انسحبوا باتجاه الحدود المصرية. لقد كان الصراع على وشك الانتهاء عقب ستة أسابيع من انطلاقته وكان عدد الضحايا في حدود ١٠٠٠ شخص بما في ذلك الجنود والثوار والمدنيون. ومع أنه كان من المؤكد أن غياب التدخل كان سيمكّن نظام القذافي من مواصلة القمع وتصفية الانتفاضة الشعبية فإنه لا بد من ملاحظة أنه بعد تدخل الناتو تمكن الثوار من الهجوم مجدداً بما أطال أمد الحرب لسبعة أشهر أخرى وتسبب في سقوط نحو سبعة آلاف قتيل<sup>(٣٤)</sup>.

### ثالثاً: مستقبل الكيان الليبي وآفاق الدولة الفاشلة والتفكك

اليوم ونحن بصدد تقدير الآثار التي ترتبت على ذلك التفسير والتطبيق والتدخل فإننا نجد ليبيا قد شهدت في السنوات التي تلت إطاحة القذافي تطورات بينت تماماً أن ما كان يطمح إليه الليبيون لم يصبح متاحاً بعد. إن الأوضاع كما تصورها وسائل الاعلام الأمريكية والغربية وكما تتناولها التقارير الدبلوماسية والاستراتيجية الغربية والأمريكية، تبين أننا لسنا في معرض تحقيق أهداف ثورة الشعب على القذافي بل إن ليبيا تتحدر نحو مزيد من الفشل والإرباك الذي يهدد كل شيء بما في ذلك كيانها الإقليمي ووحدتها الترابية والوطنية. يمكن النظر إلى الوضع الحالي في ليبيا والناتج من التدخل الخارجي على أنه الترجمة أو التطبيق العملي لما يسميه باحث غربي بوصفه الكارثة (Recipe for Disaster) بدل أن تصبح ليبيا «نموذجاً للتحويل السياسي» فإنها أضحت خليطاً ساماً يجمع ضعفاً هيكلياً موروثاً، وتحديات ما بعد الصراع، وما يترتب على سقوط النظام. هذه المكونات أصبحت أسوأ عبر سلسلة من القرارات السياسية غير الراشدة. وبينما تترنح البلاد في هذه المرحلة فإنها تبدو على حافة العنف وغياب القانون والتذمر السياسي وحتى تجدد السلطوية<sup>(٣٥)</sup>.

الحقيقة أنه وبغض النظر عن السبب فإن ليبيا اليوم ليست بأحسن حالاً مما كانت عليه عشية التدخل الغربي. هل نحن أمام حالة من الفشل الأمريكي المتجدد في المنطقة والعجز عن استيعاب الديناميات الداخلية والإقليمية؟ أم أننا أمام نتيجة متوقعة للسياسة الأمريكية التي أصرت على التدخل العسكري في ليبيا رغم أن التوقعات وقتها أن الأوضاع في ليبيا ستكون، في

(٣٤) المصدر نفسه.

Florence Gaub, «A Libyan Recipe for Disaster», *Survival: Global Politics and Strategy*, vol. 56, (٣٥) no. 1 (2014), p. 101.

أفضل الأحوال، ترجمة لحالة الدولة الضعيفة الهشة أو الفاشلة<sup>(٣٦)</sup>؟ أم أن هذا التدخل والنتائج المتوقعة له يصب تماماً في خانة تحقيق أهداف استراتيجية أمريكية؟

أصرت الولايات المتحدة وحلفاؤها على التدخل العسكري في ليبيا رغم الإدراك المسبق أن إطاحة القذافي ومن حوله سيطلق العنان لسلسلة من الأحداث التي ستبرز للواجهة شخصيات وقيادات متعددة المشارب والأهواء والتوجهات القبلية والجهوية، أو احتمالية أن تصبح اليد العليا للراдикаلية الإسلامية<sup>(٣٧)</sup>. وبصرف النظر عن القيمة الإيجابية التي يمثلها التخلص من

دكتاتورية وسلطوية القذافي فإن المآلات الخطيرة للتدخل الخارجي وعسكرة الانتفاضة تبدو ظاهرة ولا تخطئها العين، لدرجة أن وزير الدفاع الفرنسي حذر مما يجري معتبراً أن جنوب ليبيا قد تحول إلى وكر للأفاعي<sup>(٣٨)</sup>. وبصرف النظر عن مغزى ما جرى فإنه لا بد من تجاوز المظاهر إلى جوهر الظواهر ودينامياتها المركبة. ليبيا اليوم تدفع ثمن التدخل الغربي

**تجاهل المسؤولون الغربيون أن ما نجم عن تدخل الناتو في ليبيا ولد أوضاعاً مشابهة لتلك التي عرفتھا الصومال من انتشار رهيب للسلاح والمليشيات المتنافسة.**

بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لإسقاط دولة القذافي، والتدخل الأجنبي في دولة شباط/فبراير أيضاً أكثر من كونها تعيد إنتاج تاريخها أو تكرر إنتاج مكونات دولة العقيد. فالخارج، كما يعترف المؤرخ الليبي محمود أبوصوة، ظل مركزياً في تحديد مصير ليبيا على مر العصور<sup>(٣٩)</sup>. لذلك فإن التساؤل عن حقيقة ودوافع التدخل الغربي والأمريكي يبدو أكثر من مشروع. إن إجراء المقارنة والتحليل يفترض منطقياً إعطاء الوزن الكافي لتفاعل ديناميات الداخل والخارج.

لقد تجاهل المسؤولون الغربيون أن ما نجم عن تدخل الناتو في ليبيا ولد أو خلق أوضاعاً مشابهة لتلك التي عرفتھا الصومال من انتشار رهيب للسلاح والمليشيات المتنافسة والمتحاربة بوسائل مختلفة<sup>(٤٠)</sup>. فالمليشيات المسلحة ومن يرتبط بها من قوى متعددة المشارب والتوجهات لن تقدم على خطوة التنازل عن المكاسب التي حققتها أو التخلي عن السلاح ما لم تكن متأكدة من أن منافسيها أو خصومها لن يكون لهم مجال للسيطرة أو التأثير الذي يجعل تلك المليشيات

Robert Kaplan, «Libya, Obama and the Triumph of Realism,» *Financial Times*, 28/8/2011, (٣٦) <<http://www.ft.com/cms/s/0/a76d2ab4-cf2d-11e0-b6d4-00144feabdc0.html>>.

Richard Haass, «The US Should Keep Out of Libya,» *The Wall Street Journal*, 8/3/2011, (٣٧) <<http://online.wsj.com/news/articles/SB10001424052748703386704576186371889744638>>.

(٣٨) «فرنسا: جنوب ليبيا تحول إلى «وكر أفاعي» للمتشددين الإسلاميين» رويترز (٧ نيسان/أبريل ٢٠١٤)، <<http://ara.reuters.com/article/topNews/idARACAE3608T20140407>>.

(٣٩) محمود أحمد أبوصوة، «حتى لا تتحول ثورة ١٧ فبراير إلى انقلاب»، <[http://libya\\_al-mostakbal.org/news/clicked/34814](http://libya_al-mostakbal.org/news/clicked/34814)>.

Maggie Michael, «Libya's Guns Free-for-All Fuels Region's Turmoil,» Associated Press (22 March 2014), <<http://bigstory.ap.org/article/libyas-guns-free-all-fuels-regions-turmoil>>.

تفقد قوتها الحالية. لذلك فإن التخلي عن السلاح لن يكون مسألة طوعية ميسرة. هكذا تتقوى الميليشيات وتزداد عدداً وعدة وبدعم خارجي من أطراف أو فواعل دولية من مستوى الدولة أو دون الدولة ويمتد أثر ذلك ليشمل الإقليم كله الذي أصبح مجالاً لانتشار السلاح والمسلحين وتجد فيه القاعدة مرتعاً خصباً أيضاً<sup>(٤١)</sup>.

بعد كل هذا فإن التساؤل يصبح مبرراً بشأن الدوافع الحقيقية للتدخل وتصبح التبريرات الديمقراطية والمكاسب المتحققة ضئيلة وأقل ملاءمة للتفسير. لا ينبغي هنا أن نقلل من شأن طبيعة القذافي ونظامه التسلطي القمعي؛ ومع ذلك فإن ما قامت به الدعاية الأمريكية وحلفاؤها عرباً وغيرهم ضد نظام القذافي وتصويره نظاماً وحشياً وقاتلاً ودكتاتورياً دموياً فاسداً ومنتهكاً كل الأعراف والقيم وسبباً في كل ما يهدد الإنسانية... إلخ لم يكن سوى حجة واهية للتخلص من القذافي في عمل عسكري تبين التحليلات أنه قد أثمر نتائج عكسية في أغلب الأحوال. فلقد قاد التدخل إلى إطالة أمد الصراع أو الحرب الأهلية ستة أضعاف وضاعف عدد الضحايا ما بين سبع إلى عشر مرات، ليقود في النهاية إلى تكريس المزيد من انتهاكات حقوق الإنسان والمعاناة الإنسانية والتطرف والانتشار المخيف للسلاح في ليبيا، وإقليمياً بما يهدد الأمن الإقليمي والعالمي بدرجة غير مسبوقة.

## مراجع إضافية

- الأحمر، المولدي. الجذور الاجتماعية للدولة الحديثة في ليبيا: الفرد والمجموعة والبناء الزعامي للظاهرة السياسية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩. (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٧٨)
- التير، مصطفى عمر. أسئلة الحداثة وتحديات الانتقال الديمقراطي في ليبيا: المهمة العسيرة. بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٣.
- الصواني، يوسف محمد. «انتفاضة ١٧ شباط/فبراير في ليبيا: إسقاط النظام وقضايا بناء الدولة». في: يوسف الصواني وريكارдо لاريمونت (محرران). الربيع العربي: الانتفاضة والإصلاح والثورة. بيروت: منتدى المعارف، ٢٠١٣.
- عثمان، السيد عوض. العلاقات الأمريكية الليبية (١٩٤٠ - ١٩٩٢). القاهرة: مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر، ١٩٩٤.
- علي عبد اللطيف، حميدة. «دولة ما بعد الاستعمار والتحول الاجتماعي في ليبيا». المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات (الدوحة): ٢٩ أيار/مايو ٢٠١٢، <<http://www.dohainstitute.org/release/855d9fce-20fd-44d5-b0ba-4c4ee85b6925>>.
- عميش، إبراهيم فتحي. التاريخ السياسي ومستقبل المجتمع المدني في ليبيا: الجزء الأول. بنغازي: برنيق للطباعة والترجمة والنشر، ٢٠٠٨.

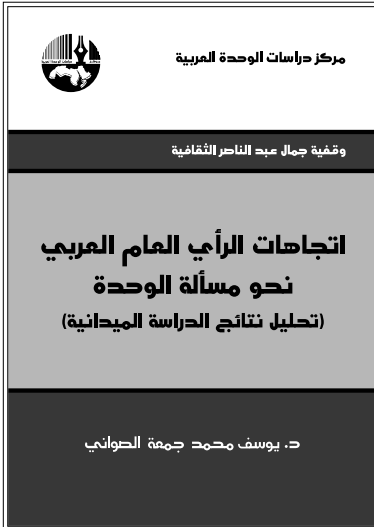
(٤١) انظر تقرير لجنة خبراء الأمم المتحدة عن السلاح وانتشاره من ليبيا إقليمياً في: «Note by the President of the Security Council,» United State, Security Council (19 February 2014), <[http://www.securitycouncilreport.org/atf/cf/%7b65bfcf9b-6d27-4e9c-8cd3-cf6e4ff96ff9%7d/s\\_2014\\_106.pdf](http://www.securitycouncilreport.org/atf/cf/%7b65bfcf9b-6d27-4e9c-8cd3-cf6e4ff96ff9%7d/s_2014_106.pdf)>.

- Barrie, Douglas. «Libya's Lessons: The Air Campaign.» *Survival: Global Politics and Strategy*: vol. 54, no. 6, 2012.
- Boyle, Francis A. *Destroying Libya and World Order: The Three-Decade U.S. Campaign to Terminate the Qaddafi Revolution*. Atlanta: Clarity Press, 2013.
- Capasso, Matteo. «Understanding Libya's «Revolution» through Transformation of the Jamahiriyya into a State of Exception.» *Middle East Critique*: vol. 22, no. 2, 2013.
- Hendrickson, Ryan C., «Libya and American War Powers: War Making Decisions in the United States.» *Global Change, Peace and Security*: vol. 25, no. 2, 2013.
- Parshad, Vijay. *Arab Spring: Libyan Winter*. Edinburgh, Oakland, Baltimore, MD: AK Press, 2012.
- Sawani, Youssef, «Dynamics of Continuity and Change.» in: Jason Pack (ed.). *The 2011 Libyan Uprisings and the Struggle for the Post-Qadhafi Future*. New York: Palgrave Macmillan, 2013.
- Vandewalle, Dirk (ed). *Libya Since 1969: Qadhafi's Revolution Revisited*. New York: Palgrave Macmillan, 2008.

صدر حديثاً

## اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة (تحليل نتائج الدراسة الميدانية)

د. يوسف محمد جمعة الصواني



احتلت مسألة الوحدة والهوية العربية مكانة الصدارة في الخطاب العربي الحديث والمعاصر كما في الثقافة السياسية العربية، وربط العرب، نخباً وجماهير، الكثير من طموحاتهم في التنمية والاستقلال والتحرير بقيام دولة تجمعهم من المحيط إلى الخليج تتخطى حدود الدولة القطرية التي كان عليها أن تنتظر عقوداً من الصراعات والتحديات والخيبات، لكي تنتزع شيئاً من شرعيتها وهويتها الوطنية. لكن على الرغم مما أخذت الدولة القطرية تحتله من مكانة في تشكل الهوية الوطنية لدى العرب، فلا تزال مسألة الوحدة والهوية العربية حاضرة بقوة لدى نسبة عالية منهم.

يقدم هذا الكتاب عرضاً وصفيّاً - تحليلياً مقارناً لنتائج الدراسة الميدانية ومسح اتجاهات الرأي العام العربي نحو مسألة الوحدة العربية، الذي قام المركز به بالتعاون مع مؤسسات عربية معنية أخرى، وجرى تنفيذه في عشرة أقطار عربية بهدف قياس مدى حضور قيم العروبة الجامعة والوحدة في أوساط الرأي العام العربي.

٢٥٤ صفحة

الثمن: ١٢ دولاراً

أو ما يعادلها